صقر بلا جناح

الطائرة تسبح فى الفضاء الرحب ،تغوص فى السحب الشتوية وثمة أسراب من الطيورتشق الصمت بأصوات مابين البكاء والغناء

وصقر يقرأ آخرخطاب وصل إليه من قريته البعيدة،يقرأ الخطاب للمرة العاشرة .

ولدى الحبيب "صقر" نحن بخير ولا ينقصنا سوى مشاهدة رؤياك والدتك تهديك السلام وهى بخير وهى تأخذ دواء السكر بانتظام، أختك"صابره"أ نجبت بنت تشبه القمر أسمتها "حبيبة" على اسم والدتك ، أعرفك أن بيتك الجديد تم الإنتهاء من تشطيبه ونحن فى انتظار عودتك على وجه السرعة . ملحوظة ،لاتحضر معك أى أدوية لوالدتك. معزرة يا ولدى لم استطع أن أسجل لك صوتها لآن التسجيل" معطل"

خالك شاهين

الأخماس14 أمشير .

شرد صقر بخياله للحظات

" ياه يا خال ،أ شعروجعا فى قلبى،ملعون مرض السكر الذى مص جسدك يا أمى ".

تردد صوتها فى رأسه:

"سافر يا ولدى ربنا يسترها معاك دنيا وأخرة"

تمنى لو أن له ريشا وأجنحة ليطير إلى قريته أ مه وحبيبته وبيته الجديد.

****

"من امتهن غير مهنته هان".

ألقى" صابر" سنارته فى الماء يرقب الغماز ، يهتز قلبه كلما اهتز ويغوص فى صدره كلما غاص فى الماء وأمشير يلقى أحجارا من البرد فوق رؤوس الناس ،يرتعد من البرد لكنه يزداد تشبسا بمقبض سنارته كلما ازداد عدد الأسماك فى سلته .

****

أ فاق صقر على صوت مضيفة الطائرة

- الطائرةالآن تدخل سماء الوطن .

الصق وجهه بنافذة الطائرة وخيل إليه أنه فى بطن حوت كبير يسبح فى المحيط.

كان صوت المضيفة مرحا :

"حمدا لله على السلامه"

أحس بسعادة داهشة تموج فى قلبه ، حنين إلى الشوارع والغيطان والبيوت وأهل قريته الطيبين،تمنى لو يرفرف مع الطيور ليحلق فى سماء قريته ،سككها ونخيلها وصورة والدته وهى تعجن الحناء بماء الكبرياء تحنى بطون الأرانب والديوك .

،يرى وجهها فى كل الأشياء، فى الغيوم ونوافذ البيوت وزعف النخيل المبلول بماء المطر،الديوك المصبوغة أجنحتها بالحناء،الهداهد الموشومة بالبياض فى أجنحته

داهمه شلال من الحنين والخوف وكأن السحب الشتوية خرت فى عينيه فأغرقت وجهه بالدموع.

*****

امتلأ ت السلة بالأسماك والصياد يرقب سنارته فى فرح.

الأسماك تخرج رؤو سها من الماء تكاد ترقص وتبتسم وقد تخشبت يداه على مقبض السنارة وقفزت عيناه الى الماء حائرة

بين السلة المملوءة بالأسماك والسنارة النهمه والنهر الذى لا يود أن يتركه .

أمشير يجلد ظهره بسياط البرد ويرش فى عينيه تراب الشتاء.

أ حس بالدوار لكنه يريد المزيد من الأسماك .

****

هبط صقر من الطائرة تسبقه عيناه الى صالة الانتظار،مسحها بعينين خائفتين يحدق فى وجوه مملوءة بالخوف والترقب وكانت الأمطار تضرب الأرض بوهن.

ألقى جسده على أقرب كرسى وأغمض عينيه للحظات قابضا بكلتى يديه على علبة بها قرط ذهبى وأسورة ،شبكة حبيبته "ورده" وقرط آخر لأمه.

فتح عينيه ويدا تربت على كتفه:

- **حمدا لله على سلامتك يا ولدى**

كان ذلك صوت الحاج" شاهين " وارتمى صقر بين زراعيه والتصق بصدره:

- **كيف حالك يا خال وكيف حال أمى ؟**
- **كل البلد فى انتظارك يا ولدى**

كان صوت الحاج "شاهين "رهيفا واهنا على غير عادته.

*****

الصياد يشعر بألم يمزق مابين كتفيه، عقارب برد أمشير لدغته تسللت إلى عظامه.

الغماز يغوص فى الماء بشده، يغووص ويغوص ويغوص و"صابر" يحاول جذب السنارة دون جدوى

يحاول مرة أخرى متشبسا بمقبضها بقوه، السنارة تجذبه إلى الماء وهو يقاومها فرحا بصيده السمين.

*****

السيارة تلتهم الطريق إلى القرية وقرص الشمس ينظر من نافذة بالسحاب مرسلا خيوطا من الضوء على الزروع وحبات المطر المنثورة على زجاج السيارة وقد حدث للطيور نشاطا غير عادى فراحت تتقافز على جانبى الطريق وتتصايح وبعض الهداهد الموشومة بالبياض فى أجنحتها تنقر الأسفلت المغسول بالمطر .

عاد صقر بذاكرته إلى الوراء لصيف مضى من سنوات طوال

عند النهر الذى يخترق القريه ، جلس ينتظر "وردة" تلك البنت البضة الطازجة ولما جاءت إحتواها فى صدره ولقنها كل قوانين الحب ولما أبلغهاأنه مسافر،بكت بشدة وبكى معها ومرغ خده فى خدها فاختلطت دموعهما ..

كان الجو حارا وشمس الصيف ترجم الريف بالجمر وتعبث بالرؤوس، تشابكت الأيادى المشتعلة ونزلا معا إلى النهر ،غاصا فى الماء إلى الركبتين ،رش وجهها بالماء.

قالت وهى تضغط يديه بشدة :

-ا قسم ألاتسافر .

- سوف أعود.

-- سانتظرك .

أمسك يدها وأوصلها إلى معديه "زاوية رازين".....وتاهت مع الراكبين .

****

الصياد يحاول جذب سنارته ،قوة رهيبة تشده إلى الماء يقاوم ويقاوم ،تخور قواه فينزل إلى الماء محاولا جذب السنارة ،يغوص فى الماءحتى ركبتيه...حتى بطنه والسنارة تشده إلى

العميق،فيغوص فى الماء حتى عينيه متشبسا بصيده ويغوص ويغوص ويغوص .

*****

السيارة تركض بين ظلال الأشجار تسبح فى ماء المطر المرشوش على الطريق..

استدار صقر إلى خاله شاهين :

- **"كيف حال أمى يا خال ؟لقد أحضرت شبكة "وردة "وستفرح أمى جدا بذلك .**

السائق يغمغم بكلمات غير واضحة ومن بعيد تبدو القرية ببيوتها الطينية القميئة وأطفالها الحفاة يلعبون على جانبى الطريق وثمة بيوت من الطوب الأحمر بنيت حديثا .

السائق يحاول السيطرة على السيارة التى كتم أمشير أنفاسها بالتراب والمطر وهى تنحدر ببطء ناحية المقابر.

توقفت السيارة فجأة.

وبعض النساء المتشحات بالسواد يحاوطنها ، تحدقن فى وجه صقر وتصرخن .

صقر ينظر إلى المقابر برعب، تدهمه الدهشة ، ينزل من السيارة بين زراعى أختة الكبرى ..يدفعها عنة برفق ..ثم يغوص فى المقابر.

كانت الشمس تميل إلى الغروب وبعض ا لطيور تحلق ناحية الشفق المشتعل .

قرية الأخماس 1989